العرب
الأحد 2019/07/14
السنة 42 العدد 11407

الأوروبي لم يعد سائحا سخيا

السياحة مرآة تعكس ثقافة البلاد وعاداتها دون عوائد اقتصادية

هل أن السياحة فعلا رافد اقتصادي مهم للبلدان العربية ذات الموارد المحدودة؟ سؤال صار يتردد منذ أحداث الربيع العربي وما تبعه من فوضى أمنية في البلدان التي عاشت موجة الانتفاضات التي طردت السائح القادم من أوروبا الغربية وما زال يتحسر عليه العاملون بالقطاع، خاصة بعد أن عوّضه سائح قادم من أوروبا الشرقية والذي لم تتحرك معه دواليب التجارة وحتى الخدمات.

لطيف جابالله
صحافي تونسي

تونس - كشفت آخر الإحصائيات أن الملايين من المواطنين في ألمانيا لا يستطيعون تحمّل تكاليف السفر لقضاء عطلات.

وأظهرت بيانات هيئة الإحصاء الأوروبية "يوروستات" أن واحدا من بين كل سبعة ألمان لم يستطيعوا العام الماضي قضاء أسبوع واحد على الأقل خارج منازلهم. ذات الإحصائية تشير إلى تراجع مستمر في نسبة الألمان غير القادرين ماديا على السفر لقضاء عطلات.

وبحسب الإحصائية، فإن الوضع أسوأ في كثير من الدول الأوروبية، فحال الإنكليز والفرنسيين والإيطاليين والإسبان ليس بأفضل حال من الألمان، هؤلاء أيضا لا يسافرون ومحظوظ من فاز بعطلة داخل بلده.

ربما ظل الأسكندنافيون قادرين على السفر وقضاء عطلهم، لكنهم يختارون بلدانا بعيدة عن رائحة البارود والتفجيرات والأخبار السيئة التي تلاحقها القنوات التلفزيونية العالمية، حتى هؤلاء لا يفضلون الدول العربية التي جعلت من السياحة رافدا اقتصاديا مهما لها مثل الأردن ومصر ولبنان وتونس والمغرب، أما الجزائر الوجهة السياحة المهجورة فهي تخطط الآن لتكون مزارا يجذب السياح بعد أن توقفوا عن زيارة الوطن العربي، أفلا تراجع السلطات الجزائرية مخططاتها؟

ومن ما زال متعلقا بهذه الدول المطلة على البحر المتوسط لذكرى طيبة لم تمح من ذاكرته قد يأتي، لكنه لم يعد سخيا كما كان من قبل في أواخر القرن العشرين، لم يعد يشتري الهدايا التقليدية الثمينة تلك التي تصنعها الأنامل الناعمة وتسهر عليها ليال طويلة لتكون تحفة حقيقية، ولا يرتاد المطاعم الفخمة ولا النوادي الليلية غالية الثمن، هو يأتي ليستمتع بالشمس والبحر يتمدد على الشاطئ ويسبح، وقد يقوم بجولة في المدينة القديمة أو برحلة منظمة مع مجموعة إلى أحد المواقع الأثرية، وينتهي المشوار.

الميسورون من السياح صاروا يسافرون بعيدا عن الوجهات السياحية التي شوّهها الإرهاب والتطرّف، يريدون كثيرا من الأمان فلا يخاطرون بمالهم ولا حياتهم، يذهبون إلى جزر بعيدة في القارة الأميركية وأستراليا والجانب الجنوبي من القارة الأفريقية، حيث الطبيعة والعجائب.

ثم إن الانفلات المناخي إن صحّت العبارة، الذي اجتاح العالم "أنعم" على القارة الأوروبية بحرارة الشمس بل حتى لهيبها، فصار الناس يستمتعون بصيف كانوا يسافرون إليه في جنوب المتوسط، صاروا يسبحون في أنهار بلدانهم وبركها ومسابحها ويستحمون في النوافير، ويسترخون في الحدائق، فلماذا السفر والصيف عندهم؟

المتقاعدون من الأوربيين الذين يضطرهم برد شتائهم القارس القدوم أفواجا إلى بلداننا الدافئة، لن يضطروا إلى ذلك في الأشتية القادمة، فشتاؤهم أصبح دافئا أيضا، وما عليهم إلا أن يقوموا بجولات قصيرة في حدائق مدنهم، أو يركبون النقل العام المجاني لهم في رحلة عبر المدينة، أو يراجعون الطبيب في زيارات روتينية، إلا إذا كانت معاشاتهم لا تكفيهم للعيش هناك، فيهربون من فقرهم إلينا، وعليه لن نرجو منهم فائدة اقتصادية حقيقية، الأمثلة كثيرة ومن يسكن في مدينة سياحية يعرف هذا النوع من الضيوف.

أزمة السياح في البلدان العربية التي مازالت تصر على أن السياحة رافد اقتصادي هام جعلت المستثمرين وحتى السلطات المكلفة بإدارة الشأن السياحي يجدون الحلول سريعا دون تخطيط أو دراسة شاملة، توجهوا إلى أوروبا الشرقية،أو كما يسمونه السوق الشرقي، وانهالت أفواج السياح من هذه الاتحاد السوفييتي سابقا، فركب الروس المناطيد في مصر، واضطرت السلطات الجهوية في مدينة المنستير الساحلية في تونس إلى استخدام اللغة الروسية في لوحات توجيهية بشوارع المدينة، بعد أن أصبح الضيوف الجدد يمثلون 30 بالمئة من الوافدين على النزل في المنستير، في سابقة هي الأولى بتونس، بل ربما في الوطن العربي.

يذكر أن تونس فتحت أبوابها لسياح أوروبا الشرقية منذ 2015 بعد أن انهارت الأسواق السياحية التقليدية عقب الهجمات الإرهابية، وباتت الروسية من بين اللغات الشائعة في المنتجعات السياحية مع الارتفاع الكبير لعدد السياح الروس. وأعجب السياح السلوفاكيون بالشاي المغربي، والعمارة القديمة وخاصة في طنجة، أين يستمتعون بالشاطئ والشمس الأفريقية، وأسال لعابهم المطبخ المغربي، فتذوقوه بأصنافه، وبهاراته.

سياح أوروبا الشرقية يأتون إلى الدول العربية في رحلات منظمة "أول انكلوزف" اي يأكلون ويشربون وينامون مقابل معلوم معيّن يدفعونه مسبقا.

استعد العاملون والموظفون في القطاع السياحي والمستفيدون منه بالقادم الجديد وتعلموا من لغته ما يكفي للتواصل، حتى تجار الأنتيكة والمنتوجات التقليدية تعلموا الترحاب والبيع والشراء باللغة الروسية، لأنهم يريدون الخروج من عنق الأزمة التي يعيشون.

لكن المفاجأة التي أول من علمها عمّال الفنادق والمطاعم، علموا أن السائح الجديد لا يعطي بقشيشا، لم يزعجهم ذلك كثيرا، لأن وجوده يحافظ على عامل النظافة والنادل والفراش في عملهم بعد أن كانوا مهددين بالجلوس على رصيف البطالة، ثم تبعهم التجار الذي حاولوا جاهدين إقناع السائح الجديد بشراء هدية ثمينة تظل ذكرى الرحلة، لكن أضطر بعضهم في الأخير إلى تحويل وجهة محله إلى مصلحة تجارية أخرى منهم من حول محله إلى مقهى للشباب المحليين المعجبين بالعمارة والأجواء القديمة، وترك لغات الدنيا والزبائن الشقر، ومنهم من غير بضاعته التقليدية الثمينة بأخرى رخيصة قادمة من الصين.

هؤلاء التجار يتساءلون من المستفيد من السياحة الجديدة تحديدا من سياح أوروبا الشرقية، أهلا بهم، لكنهم هكذا أصبحوا يزاحمون المواطن في المواد التي تدعمها الدولة، فيشاركون المواطن المواد الغذائية المدعومة والكهرباء والماء، دون أن تستفيد منهم البلد.

قليلون من يستفيدون من سائح أوروبا الشرقية، وهم تحديدا أصحاب الفنادق ووكالات الأسفار، أما الدولة فتدفع لهم دعم بعض المواد، لذلك يبدو أن القطاع السياحي بهذه الحلول لن يكون رافدا اقتصاديا حقيقا، حتى وإن تعللت الحكومات بأن الفائدة تكمُن في جلب العملة الصعبة.

حري بالحكومات أن تبحث حلولا جدية كي تستعيد السائح الثري وهو أمر صعب في ظل الفوضى الأمنية التي يشهدها الوطن العربي، أو أن تستقطب السائح الصيني وهو سائح جديد خرج حديثا للتنزه في أرجاء العالم، ليصل عددهم إلى مئة مليون سائح سنويا. فالمغرب تحرص على استقبال الصينيين وقد بلغ عدد القادمين لقضاء عطلتهم سنة 2018، حوالي 120 ألف صيني، وينفق الواحد منهم بشكل يومي حوالي 2500 درهم (262 دولارا أميركيا تقريبا)، في حين لا يتعدى معدل الإنفاق اليومي لباقي السياح الأجانب حوالي 1800 درهم (حوالي 190 دولارا أميركيا)، ليحتل الصيني المرتبة الأولى مخلفا وراءه سياح الجنسيات الأخرى من أوروبا الغربية التي تزور المغرب.

> **تونس فتحت أبوابها لسياح أوروبا الشرقية منذ 2015 بعد أن انهارت الأسواق السياحية التقليدية**

حلول أخرى يمكن أن تقترحها الحكومات لإنعاش دواليب اقتصادها لتبقى السياحة واجهة للترويج لثقافة البلاد وتراثها بعاداته وتقاليده، كما تفعل المراكز الثقافية المنتشرة في العواصم الأجنبية وفرق الفنون الشعبية التي تجول العالم.

فرجة بلا مقابل

السياح يركبون الأمواج في سيدي إفني أثناء رحلتهم إلى المغرب

سيدي إفني (المغرب) – بواجهة بحرية خلابة ومغرية للممارسة الرياضات البحرية يكون إقليم سيدي إفني مؤهلا ليكون قبلة نموذجية لهواة هذه الرياضات بصفة عامة، وركوب الموج على وجه خاص، من المغرب وخارجه.

ويسعى المهتمون بهذه الرياضة في الإقليم إلى جعل رياضة ركوب الموج وسيلة جذب سياحي ورياضي، لاكتشاف ما تزخر به المنطقة من مؤهلات سياحية وطبيعية تجمع بين البحر والجبل والسهل، ومغارات ذاع صيتها عالميا، هذا إلى جانب فرصة اكتشاف جهة كلميم واد نون باب الصحراء، ككل.

ويمارس المهتمون، حاليا، هذه الرياضة بسيدي إفني عبر ناديين، الأول بسيدي إفني والثاني بشاطئ لكزيرة المشهور، ويشارك أعضاء الناديين والمنخرطين فيه في المسابقات التي تنظمها الجامعة الملكية لركوب الموج، ضمن المنطقة الشاطئية التي تمتد من ميرلفت (إقليم سيدي إفني) إلى مدينة الداخلة.

وفي هذا الإطار، أكد رئيس جمعية نادي الصحراء لرياضة ركوب الموج بسيدي إفني، في تصريح لوكالة المغرب العربي للأنباء، أن الإقليم يتوفر على كل المؤهلات لتطوير هذه الرياضة، لتلعب دورا في استقطاب السياح للإقليم ولجهة كلميم عموما.

وأبرز في هذا السياق توفر الإقليم على شواطئ نظيفة ذات سمعة عالمية مثل لكزيرة، الذي اكتسب شهرة عالمية بفضل أقواسه الصخرية الطبيعية، وإمي نتركا وورزيك وغيرها، والتي تتميز بأمواجها وهبوب الرياح المناسبة طيلة السنة لممارسة هذه الرياضة، إضافة إلى الإقبال الكبير للسياح عشاق الرياضات المائية والسياحة الجبلية والقروية والإيكولوجية الذين يتوافدون على المنطقة، خصيصا، لممارسة هواياتهم ورياضاتهم المفضلة.

وذكر رئيس الجمعية بأن ركوب الموج أو "الركمجة" كما تُسمّى، ليست مجرد رياضة بل هي مهنة أيضا بحيث تساهم في خلق فرص شغل للشباب المكوّنين الذين يتخرجون من نوادي الإقليم الأمر الذي يحفزهم للاشتغال بشكل حر في تكوين الراغبين في ممارسة هذه الرياضة لاسيما خلال موسم الصيف.

وعبّر كثير من المهتمين بهذه الرياضة البحرية بسيدي افني عن رغبتهم في تضافر الجهود ومزيد من الاهتمام من أجل تنظيم بطولات وطنية وعالمية للتسويق لشواطئ سيدي إفني سياحيا، حيث أكد رئيس جمعية لكزيرة لركوب الموج والتنمية، محمد فكري، أن حلم رياضيي الركمجة هو تنظيم بطولة "إفني أوبن" ذات مواصفات عالمية تزيد من إشعاع عالمي للإقليم وتجذب الاهتمام الإعلامي، لاسيما الرياضي منه، وذلك على شاكلة بطولة "أكادير أوبن" المشهورة.

وقال، "الإقليم يتوفر على كل المؤهلات، بشرية وطبيعية، للعمل على إنجاح مثل هذه التظاهرات الرياضية العالمية"، مسجلا أن هذا المجال يحتاج فقط، إلى الدعم والتشجيع، داعيا كل الفاعلين والمهتمين إلى بذل الجهود " لتحقيق هذا الحلم ".

وفي الإطار ذاته أكد توفر جمعية لكزيرة لركوب الموج والتنمية على مدرسة لتكوين رياضيين في ركوب الموج، نظريا وتطبيقيا، ويشرف عليها مدرب متخصص في المجال، وتضم حاليا 35 منخرطا، ومفتوحة للفتيان والشباب من 12 سنة فما فوق.

من جانبه يرى المندوب الإقليمي لوزارة الشباب و الرياضة بسيدي إفني، ماء العينين مصطفى، في تصريح مماثل للوكالة، أن لرياضة ركوب الموج بسيدي إفني "مستقبلا واعدا"، مشددا على أهمية وضرورة تضافر الجهود لتسويقها بشكل جيد وطنيا ودوليا.

وقال المسؤول الإقليمي، إن الإقليم يتوفر على واجهة بحرية مهمة "تستوفي كل الشروط اللازمة لممارسة جيدة لهذه الرياضة العالمية"، مؤكدا أن وزارة الشباب والرياضة "شريك رئيسي للجامعة الملكية لرياضة ركوب الموج".

وخلص إلى أن إقليم سيدي إفني "يستحق فعلا تنظيم بطولة قارية في رياضة ركوب الموج لتسويق مؤهلات الإقليم على المستوى العالمي ليصبح وجهة وقبلة جذابة سياحية لعشاق هذه الرياضة على غرار مدينة الداخلة".

السفر إلى المغامرة